العرب
الأربعاء 2020/11/11
السنة 43 العدد 11878

عبدالعزيز بركة ساكن يتوج السرد السوداني في باريس

باريس – فاز الكاتب السوداني عبدالعزيز بركة ساكن بجائزة الأدب العربي لعام 2020 التي يمنحها معهد العالم العربي بباريس بالتعاون مع مؤسسة جان لوك لاجارديير.

وتخصص الجائزة التي أنشئت سنة 2013 لتكريم كاتب من إحدى دول الجامعة العربية أصدر عملا (رواية أو مجموعة قصصية أو شعرية) باللغة الفرنسية أو مترجما عن العربية إلى الفرنسية حول موضوع الشباب العربي.

وقد ذهبت الجائزة، التي تبلغ قيمتها 10 آلاف يورو، في دورتها الثامنة إلى ساكن عن روايته "الجنقو – مسامير الأرض"، الصادرة باللغة العربية وترجمها إلى الفرنسية إكزافيه لوفان.

ونوهت لجنة تحكيم الجائزة برواية "موفيز إيرب" أو "نباتات سيئة" للبنانية ديما عبدالله، الصادرة باللغة الفرنسية عن دار سابين ويسبيسر في باريس.

ويستضيف معهد العالم العربي كلا من ساكن وديما في لقاءين أدبيين يومي الخامس من ديسمبر 2020 و27 فبراير 2021.

ونقل الموقع الرسمي لمعهد العالم العربي عن ساكن قوله إنه سعيد للغاية بالفوز بهذه الجائزة المرموقة التي سبق وأن فاز بها كل من اللبناني جبور الدويهي والعراقي سنان أنطون.

وأضاف الروائي "أعتقد أن هذه الجائزة جاءت في الوقت المناسب تماما لأن روايتي تتحدث عن التسامح الديني والحب والإنسانية، حيث نعيش الآن في عالم تمزقه صراعات الهوية، ويمر بما يشبه صدام الحضارات".

وتتحدث الرواية عن الإنسان بفقره وضعفه وآلامه، بأخطائه وخطاياه؛ حيث تتمحور حول العمال الموسميين "الجَنْقُو" الذين تركوا قراهم الفقيرة بحثاً عن لقمة العيش وأملاً في العودة بثروة صغيرة تغير حياتهم.

> روايته «الجنقو – مسامير الأرض» الفائزة بجائزة معهد العالم العربي بباريس ملحمة سردية من عمق السودان المجهول

وفي سبيل ذلك يقبل هؤلاء أن تطحنهم تروس الحياة الخشنة مرات ومرات، في مزارع السكر وحقول السمسم والمصانع ذات الآلات الرثّة، فتتغير أعمالهم وأسماؤهم خلال شهور السنة؛ فهم "الجنقو" و"الفَحامون" و"كَاتَاكو" دون أن يغيب عنهم الشقاء لحظة.

ولا يجد أبطال الرواية مهرباً إلا قرية "الحلة" حيث تُغرَق الآمال والهموم في أقداح الخمور الرخيصة وأدخنة الحشيش السيئ التي يتشاركونها في الليالي الطويلة مع نساء بائسات يعرضن أجسادهن لقاء قروش قليلة.

وبدلاً من أن يعود "الجنقو" مرة أخرى إلى أهاليهم بعد شهور العمل الشاق يقررون أن يبقوا في الحلة، فمالهم القليل تبدّد وكذلك شطر كبير من العمر.

وتعرضت الرواية إلى المنع في السودان إثر صدورها في نسختها العربية، حيث طالها الحرق والإبادة من قبل السلطات في ذلك الوقت، وقال ساكن إن السلطات في السودان تعاملت مع الرواية لجهة أنها تمس رموز النظام، معربا عن حزنه بسبب إبادة الرواية والمعاملة التي وصفها بالقاسية، مبينا شروعه في كتابة رواية "السماني" لترى النور في العام المقبل، كما عبر عن حلمه بتحويل رواياته إلى أفلام تجسد واقع الحياة الحقيقي في السودان.

ورغم اعتبار البعض أن الرواية سيرة ذاتية للكتاب، فإنه صرح بأنها ليست كذلك مطلقا، معتبرا أن الخطأ الذي يقع فيه الكثير من قرائه ناتج عن أنه اتخذ وسيلة سردية تجعل الرواية كما لو أنها رواية سيرة ذاتية، ومن ذلك عدم ذكر اسم الراوي واسم صديقه، حيث تسهل إحالته إلى الكاتب شخصيا، واعتماده المدينة والمنطقة التي عاش فيها مسرحا للرواية، كما اعتمد على عمل والده في السجون واستخدم أسماء أصحابه وأسماء لمدن وقرى وغابات ومزارع حقيقية على نفس مواقعها الجغرافية.

وأضاف ساكن أن هذا الأسلوب أعطى الرواية روحا حية وصدقا فنيا عاليا، وأثرى العمل، رغم أنه كثيرا ما يُورّط الكاتب في تهمة أنه ذات الفاعل في العمل الفني. بينما يسعى هو إلى استعارة آليات كتابة السيرة الذاتية لكتابة العمل الروائي التخييلي، وفي الإطار ذاته، يُفسر استخدام الحوار الذي هو أصلا أداة مسرح والتصوير من السينما والفن التشكيلي.

وإضافة إلى اشتغاله على هذه التقنيات فقد كرس الروائي السوداني اهتماما خاصا بلغة الشخصيات حيث قال "كانت اللغة همي الشاغل في هذه الرواية، لأنه كان عليّ أن أستخدم في الحوار اللغة التي تخص كل شخص على حدة، وتحمل بين طياتها خلفيته الاجتماعية، ومستواه التعليمي وأيضا المنطقة التي جاء منها، حيث إن اللغة لا تعمل أبدا كوسيط محايد، فهي 'حَمّالة للقيم' كما قال عنها كارل ماركس".

ونذكر أن عبدالعزيز ساكن، المولود عام 1963 في مدينة كسلا بشرق السودان، له روايات عديدة منها "مخيلة الخندريس" و"مسيح دارفور" و"رماد الماء" و"الطواحين"، وهو يعيش حاليا في مدينة مونبلييه الفرنسية.

وسبق أن توج بجائزة "بي بي سي" للقصة القصيرة على مستوى العالم العربي عام 1993 عن قصته "امرأة من كمبو كديس"، وجائزة "قصص على الهواء" التي تنظمها هيئة الإذاعة البريطانية بالتعاون مع "مجلة العربي" عن قصتيه "موسيقى العظام" و"فيزياء اللون"، عام 2013.

وفازت روايته "الجنقو – مسامير الأرض" بجائزة الطيب صالح في مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، ونالت مكانة هامة وسط الروايات في المكتبة الفرنسية بعد ترجمتها وتناولتها الصحف الفرنسية بالكثير من الاهتمام.

كاتب نجح في توثيق ما لم يوثق

السينما تصادر خيال قرّاء الروايات

الممثلون أقلام والبلاتوهات أوراق والكاميرا تختار لك ما تريده

الكتابة للسينما مختلفة عن الأدب (فيلم الفيل الأزرق)

بات الكثير من الروائيين العرب يكتبون أعمالهم وفق استعداد لإمكانية تحويلها إلى المسرح أو الدراما أو السينما، وإن كانت تقنيات هذه الفنون البصرية تختلف عن الكتابة الأدبية، فإن هذا المنطلق بقي متذبذبا بين النجاح في الوقوف بين الكتابة والصورة، أو الفشل في ذلك؛ حيث خلط الأدب بالصورة لعبة غير مضمونة النتائج.

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

جاء في جلسة حوارية أقيمت عن بعد عبر منصة "الشارقة تقرأ" ضمن معرض الشارقة الدولي للكتاب أدارها الإعلامي مصطفى الأغا وتحدث خلالها الروائي والكاتب المصري أحمد مراد، عن الرواية وعلاقتها بالسينما ودور الخيال في صناعة القيمة الفكرية والجمالية للعمل الإبداعي، أنه لا يكتب من أجل السينما وإذا فعل ذلك فسيخسر كثيرا.

وجاء في شهادة الكاتب والسيناريست الذي ترشحت روايته "الفيل الأزرق" إلى القائمة القصيرة لجائزة البوكر العربية عام 2014، أنه لا يضع في ذات الوقت حدا لكتابته وفق رؤية ومنظور المنتجين، ولهذا يفرق الكاتب الذي نالت أعماله جوائز في إنجلترا وفرنسا وأوكرانيا بين جمهور الكتاب وجمهور السينما. ولا ينكر مراد أن السينما تسهم في انتشار الرواية بشكل كبير، مضيفا "لكنني أكتب الخيال، وإن كان بمقدور السينما أن تترجمه فهذا أمر جيد"، وكان ذلك في معرض الشارقة للكتاب يوم السادس من نوفمبر الجاري.

الشاي أخضر وأحمر

تحيلنا هذه الشهادة إلى مسألة في غاية الدقة والحساسية، وهي أن الكتابة الأدبية شيء، والصناعة الروائية شيء آخر، أمّا أن يقع "التزاوج والمصاهرة" بين هذين الجنسين المختلفين –وبنفس المزاج في القبول والتلقي– فأمر يشبه خلط الزيت بالماء.

متعة المشاهدة تختلف عن متعة القراءة، ولا ينبغي المقارنة بين آليتين للتلقي، فلكم أُصيب قراء كثيرون بإحباط شديد عند مشاهدة المواد الورقية التي سحرتهم وهم يقرأونها في أجواء رائقة وقد تحولت إلى مادة فيلمية تجسدها شخوص غير تلك التي في أذهانهم لحظة القراءة.

أضف إلى ذلك عناصر ومتممات درامية أخرى في اللون والصوت والموسيقى وأساليب التقطيع والحوار وزوايا التصوير والرؤية، بالإضافة إلى مجموعة الاختصارات أو المحذوفات أو الإضافات.

لنقلب المعادلة، ونتخيل فيلما سينمائيا آسرا، استحوذ على كل حواسك أثناء المشاهدة ثم سلمه إياك السيناريست على الورق وهو يعج بجداول توزيع الأدوار والشخصيات والإرشادات الإخراجية والملاحظات التقنية، وحتى اقتراح أحجام وأرقام عدسات الكاميرا.. هل كنت ستستمتع بقراءته بنفس السوية التي تشاهده فيها وأنت أمام شاشة جاهزة مثل مائدة عشاء شهي، وبعيدا عن تفاصيل المطبخ وطرق التحضير؟

يمتلك كل واحد منا داخل تلافيف دماغه أثناء قراءة أي أثر أدبي، "مخرجا صغيرا" يوزع الأدوار ويختار الثياب والألوان والأمكنة بعناية فائقة ثم يأتي من "يتعسف" على خياله فيخلط أوراق اللعبة و"يشوه" الصورة التي سجلتها عدسة خياله ليحولها إلى مقترح بصري لا يرضي ماكينته الإخراجية أثناء القراءة التي تشبه الكتابة الثانية.

كثيرون هم الكتاب والروائيون الذي حضروا أول عروض أعمالهم المتحولة إلى السينما وقد صرخوا غاضبين محتجين بين حشود المتفرجين: هذه ليست أعمالنا.

من منا لم يصب بإحباط شديد أثناء مشاهدة روايته المفضلة وقد تحولت إلى فيلم سينمائي أو مسلسل تلفزيوني؟

قس على ذلك في القصيدة حين تتحول إلى أغنية أو رقصة أو حتى لوحة تشكيلية.

"غرباء يرتدون ثياب المرحوم الميت.. يا لهذه الوحشة والإحباط الموجع"، هذا ما يقوله لسان حال كل من تعلق بأثر أدبي ثم شاهده مجسدا على الشاشة أو الخشبة أو اللوحة أو حتى مسموعا فوق مسرح غنائي.

الأمثلة في هذا الصدد لا تحصى ولا تعد بل تكاد تكون قاعدة تمتد من المسرح الإغريقي إلى أيامنا هذه، فلا تتوقف عند شخصيات سوفوكلس هي نفس التي تخيلها صاحبها، ولا أمراء شكسبير ومهرجيه، لا خدم موليير ومحتاليه ولا أشقياء تشيخوف ومتعبيه، ولا حتى زوربا، نيكوس كازنتزاكيس، أو أبله دوستوفسكي، لا ولا أجواء همنغواي وحارات نجيب محفوظ أو أطياف جان جينيه وصعاليكه.

الشاي الأخضر هو شاي أخضر، كذلك فإن الشاي الأحمر هو شاي أحمر، فلا مجال للمقارنة أو المقاربة، خصوصا أنك إزاء مادتين مختلفتين في النكهة والمزاج وطريقة التحضير.

وعي جديد

الممثل هو "قلم المخرج" فوق ورقة تمثلها الخشبة المسرحية أو البلاتوه السينمائي، كما أن الكاميرا هي خيال المخرج الذي يختار لك ما يريد قوله، لكن الكتاب هو الطينة اللينة التي بإمكانك تشكيلها كيفما أحببت.

الإخراج السينمائي أو المسرحي هو بمثابة الكتابة الثانية للنص الأول أما الكتابة الثالثة فهي التلقي وآلياته لدى المتفرج أو حتى الناقد.

ألم يبتكر سيلفادور دالي للموناليزا شاربا معقوفا كذلك الذي يمتلكه تحت أنفه، واكتفى بيكاسو بخطين عشوائيين للدلالة على قرني الثور الإسباني. وجعل شارلي شابلن من هتلر مهرجا، وحوّل ألبير كامو، وجهة الإمبراطور الروماني كاليغولا، ليصنع منه شخصية وجودية، عداك عن قراءة المخرج بازوليني السينمائية لشخصية أوديب الملك.

الأمر يشبه القاعدة الصحفية القائلة إن "الخبر مقدس ولكنّ التعليق حر"، أي أن طريقة التناول تختلف باختلاف المعدّين والمخرجين وكذلك الممثلين، لأن الأثر الأدبي يخرج من نرجسية صاحبه ليصبح مادة قابلة للتأويل وتعدد القراءات.

ذلك هو قدر الأعمال الكبيرة.. يكتب لها الخلود بفضل عبقرية صاحبها وقدرته على تقديم مادة حمّالة أوجه، فشكسبير هو واقعي للواقعيين، رمزي للرمزيين، تراجيدي للتراجيديين وكوميدي للكوميديين.

ثمة خط أرق من الشعرة بين الإعداد الفني المبني على أسس وقواعد وضوابط فنية، وبين التشويه وغياب الذائقة والمهارة، والذي يتعمد عن قصد –أو غير قصد– مسخ الأثر الأدبي ومعالجته بلغة مسطحة لا عمق ولا نكهة فيها. حفظ حقوق التأليف أمر تكفله القوانين والتشريعات، فهذا أمر لا جدال فيه، وبناء على ذلك فبإمكان المعد أن يتصرف حتى ولو فكر في تحويل إحدى أغاني عبدالحليم حافظ، إلى راب.. شرط الإشارة إلى الأصل والإيفاء بما تخلّد بذمته من حقوق مادية ومعنوية.

أمر آخر ينبغي الإشارة إليه ووضعه في الاعتبار، وهو أن السينما، وحين لا تمتلك التقنيات اللازمة في تجسيد خيال الروائي، تصبح عبئا من شأنه أن يشوه الأثر الأدبي، ذلك أن الإخراج هو إضافة وعي جديد إلى ما أراده الكاتب وليس عملية فرملة وقص أجنحة فتصبح عندئذ عملية تقزيم وتحجيم.

أحمد مراد

> لا أكتب من أجل السينما، أنا أكتب الخيال، وإن كان بمقدور السينما أن تترجمه فهذا أمر جيد

وبالعودة إلى معرض الشارقة الدولي للكتاب الذي أصبح منصة دولية مرموقة وهمزة وصل شديدة الأهمية بين القارئ والكاتب والكتاب، أكد الكاتب والروائي المصري أحمد مراد أن وجوده في قائمة الكتب الأكثر مبيعا سببه بحث الناس عن الرواية التشويقية التي يفتقدها الوسط الثقافي العربي، مشيرا إلى أن هذا النوع من الروايات غير تاريخ الأدب حول العالم وساهم في إيجاد حالة جديدة ومتطورة على صعيد بنية العمل الروائي الذي يعتمد على الخيال كمحرك له، وهو أمر يؤكد ما أردنا الذهاب إليه حول أن عملية تحويل العمل الأدبي إلى سينمائي، إضافة أو لا تكون.